المشرق

سياحة في بلاد البترون

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

كان السفر من بيروت الى البترون قبل عشرين سنة شاقًّا مُملًّا فيقوم اليها الراحل قبل ان يتنفَّس الصبح ويبلغها في شفق النهار بعد سير حثيث يركض فيه جواده على رمل البحر ساعاتٍ مستطيلة ينالهُ فيها لظى الحرّ صيفًا ونفحات القرّ شتاء. اما الآن فقد اضحى السفر الى البترون ونواحيها من أسهل الامور. فانَّ جناح البخار يطير بك الى المعاملتين في ساعةٍ واحدة فتركب من ثمَّ عربةً تجيز بك المسافة الباقية في اقلّ من خمس ساعات فتدرك بلدة البترون وانت بفارهٍ نشيط القوى طيّب النفس

وافق خروجنا من بيروت في ١٧ تموز المنصرم خروجَ طلبة المدارس الى العطلة السنويَّة فما وصل القطار ايابًا من المعاملتين حتى رقيهُ المسافرون الاحداث متزاحمين مع معلّمي مدارسهم وقصوى رغبة الجميع ان يهجروا باقرب وقت معاهد بيروت حيث تتوهَّج معامع القيظ ليتسلَّقوا مشارف لبنان فيتمتَّعوا بنسماتهِ الباردة وزلال مياههِ الصافية. وكنت تسمع ضجيج كلّ هؤلاء الشبَّان لا يتمالكون فرحًا ويتحادثون باصوات عالية كادت تنسي عجيج القطار

وفي اثناء ذلك كنَّا نساير البحر شمالًا ولبنان يمينًا ونحن نسرّح الابصار في مناظرهما البهجة بين سُفن تجري على سطح المياه فتنعكس صورها في مرآة البحار وغابات تكلّل هامة الجبال وقرًى تُحدق بها مزارع التوت والحدائق الغنَّاء حتى ادَّى بنا السير الى محطَّة جونية

فنزلنا من القطار وركبنا عربة لحوذيّ حسن الاخلاق عفيف اللسان لم نسمع

طول مسيرنا من فيهِ سنةً او تجديفًا وذلك امرٌ يتدرُ في امثالهِ فيشكر . فسرنا اوّلًا في وسط الابنية الجديدة التي جعلت خور جونية من اتره المناظر حتى ان بعض الكتبة شبَّه محاسنها بنابولي وضواحيها الفتّانة . ولم تزل في دهش من بدائع اعمال الخالق الى ان تعدَّينا جسر المعاملتين فاخذت العرَبة ترفع بنا تارةً وتهبط بنا أخرى في اخاديد طريقٍ لم توثَر ولم تُصلح منذ سنين عديدة . الّا اننا صبَّرنا النفس على هذا العناء مع علمنا ان ذلك هو شأن اكثر طرق الجبل او قل بالاحرى أغلب سكك المدُن

ثمَّ ادركنا نهر ابراهيم والبقعة الخضراء التي تسقيها مياههُ العذبة فجاوزناهُ سائرين على جسر من حديد حسن الهندام أصطنع منذ عهد قريب في معامل باجكة . ثمَّ استأنفنا السير مسرعين فبلغنا مدينة جُبيل بعد نصف ساعة . وهي المدينة الشهيرة وعاصمة بلاد فينيقية بيد اننا نؤجل وصفها وذكر عاديَّاتها فنفرد لها فصلًا في مقالتنا الموسومة « بتسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » وانَّما غايتنا في هذه العجالة ان نقصَّ على قرَّائنا خبر رحلتنا اجمالًا شأن المسافر الذي يروي لاصحابهِ ما لحظهُ في طريقهِ او يفكِّه خواطرهم بما عرض لهُ من العوارض السارَّة او الفاجئة في اثناء غيبتهِ

هذا وبرحنا جبيل اصيل النهار ميمِّمين البترون فسرنا في طريقٍ يحصرها الجبل يمينًا والبحر شمالًا . وتلك الناحية قفرة لا ترى فيها ديَّارًا غير انك تلقى من مسافة الى أخرى خانات حقيرة المنظَر يأوي اليها المسافر يضع دقائق ثمَّ يرحل عنها سائرًا

وكانت هذه الجهات في القرون الغابرة مأهولةً كثيرة القرى مزدانة بالمزارع والغابات وطريقها الرومانيَّة كانت تزدحم فيها السابلة ذهابًا وايابًا وكان الزوَّار يألفونها وهم يحجُّون الى جبيل لزيارة هيكل ادونيس الشهير او الى معابد افقا والمشنقة . وكانت السفن العديدة تمخر البحر في هذه الجهات وتنقل ارفاق البلاد من مكان الى آخر

وبينا كنَّا نفكِّر في احوال السلَف اذ غابت الشمس عن العيان وانارت الافق بضيائها الارجوانيَّة . فشعرنا بنسيم ليِّن أنعش قوانا ونشَّط الخيل فصارت تلهب في عدوها الهابًا وتثير هبَوات من الغبار . ولم تمرَّ علينا ساعة حتى ارخى الليل جلبابهُ على الارض وشعَّت النجوم في الزرقاء الّا اننا لم نلبث ان نرى انوار البترون تقترب منَّا كانَّها تحاكي في اضوائها سرج السماء . فوقفت بنا الخيل عند فندق شعارهُ « لوكندة سوريَّة » فبتنا فيهِ تلك الليلة وهي بئس ليلة قضيناها والعين لم تكتحل بسهاد لِما شعرنا من وقدات الحرّ

ولسع البعوض على انّ ماء البترون مالحٌ أجاج لا يبلّ غلّة من لم يألفهُ

ولمّا كان الغد تجوّلنا في انحاء البلدة وسلّمنا على بعض وجهائها فرأينا من انسهم اكثر ممّا سمعنا. واهل البترون مشهورون بالحزم وحسن الطباع والحذاقة في العمل والاستمساك بعروة الدين. وفي جبالها يُستخرج الاسفنج الغالي الثمن منهُ الكبير الحجم ومنهُ الصغير الناعم اللطيف. وقد زرنا مدارس البلدة فوجدنا احداثها من ذكور واناث مجدّين في تحصيل مبادئ العلوم وكنّا نتفرّس في جميعهم سمات النجابة وملامح الذكاء لاسيما البنات اللواتي يزيّنهنّ راهبات قلبي يسوع ومريم فيبذلنَ الوسع في تهذيبهنّ. والحقّ يقال اننا حيثما سرنا كنّا نسمع الاهلين يثنون اعطر الثناء على همة اولائك الراهبات اللواتي يتفانينَ في سبيل الخير وتربية الفتيات

٢

وفي ضحى النهار وجدنا بعد التيا واللّتي خيلًا اكتريناها بضعف الاجرة المألوفة لزعم اصحابها انّ الخيل في الصيف عزيزة الوجود لكثرة طلّابها فتوغلنا في لبنان قاصدين مدرسة مار يوحنّا مارون. وكان مسيرنا في وسط رُبىً تربتها بيضاء من الحوّارى لا ينبت فيها الّا شجر الخرّوب. وسكّان هذه النواحي قليلون لا ترى فيها سوى بعض القرى الصغيرة كجدايرة وعبرين. فجاوزنا هذه الضياع وبلغنا عند العصر كفرحيّ فمررنا بقرب الدار التي نشأ فيها السيّد المفضال فقيد ملّته ووطنه الطيب الذكر المطران يوسف فريفر. وما عتمنا ان وصلنا الى مدرسة مار يوحنّا مارون فلمّا حللنا ربعها بادر حضرة الاب بولس طعمه نيابةً عن رئيس المدرسة الغائب فرحب بنا واكرم مثوانا. وكانت المدرسة يوم وصولنا فارغةً من الدارسين والطلّبة عند اهلهم يصرفون في بيوتهم زمن العطلة السنويّة. فبعد ان اخذنا نصيباً من الراحة زرنا معاهد المدرسة وتاريخ بنائها يستحقّ الذكر نرويه ان شاء الله لقرّاء المشرق في مقالة اخرى. ثمّ طفنا في جهات القرية ونقلنا فيها كتابةً يونانيّة قديمة سيأتي وصفها في هذه المجلة مع كتابات اخرى وجدناها في القرى المجاورة. وكفرحي من الضياع الصغيرة الّا انّ الآثار الموجودة فيها تثبت قدمها وتنبئ بشأنها في القرون السالفة

وفي ١٩ تموز قمنا باكرًا قاصدين التجوّل في الانحاء القريبة للاستطلاع على كتابات لاتينيّة يرتقي عهدها الى زمن ادريانس قيصر ألمحنا اليها في المشرق (١ : ٧٢٨ و ٢ :

١٤٤١). وباشرنا البحث اوّلًا في فتاحات وهي مزرعة ذات اربعة بيوت فقط وجدنا فيها ثلاث كتابات لادويانس وقد تلفت كتابتان اخريان منذ سنين قليلة

واجتزنا عند الماء بكفر شابان حيث رأينا اخربة قديمة العهد ثمّ مررنا بحلتا وطن غبطة السيد الملفان البطريرك مار الياس الحويّك وفي احد جوانب كنيسة هذه القرية خطّ عربي كوفيّ طُمس اكثرهُ لكنّهُ شبيه بخطوط اخرى وقفنا عليها في داعل فاخذنا رسمهُ. وكنّا في اثناء مسيرنا نسمع كلّ اهل هذه القرى يطنبون في محامد راعي رعاتهم ويذكرون سجاياهُ الحسنة ويعدّدون ما امتاز بهِ منذ صباهُ من المزايا والصفات الطيّبة فذكّرنا ثناؤهم قول الشاعر:

اتتهُ السيادة منقادةً اليهِ تجرُّ اذيالها
فلم تكُ تصلح الّا لهُ ولم يكُ يصلح الّا لها

واجتزنا طوفنا في ذلك النهار بزيارة قرية بقسايا. وفيها كنيسة بُنيت كلها بحجارة من بقايا هيكل قديم بديع الحسن

ولمّا كان العشاء انتشحت الجبال المجاورة بظلالة من الضياء والانوار الساطعة فصارت كانها شعلة نار وكانت الوديان تردّد دويّ البنادق واصوات الاجراس وتهاليل السكّان اجلالًا لعيد القديس الياس الواقع في غد ذلك النهار وهو شفيع غبطة البطريرك الكليّ الطوبى فكانت هذه الحفلة البهيّة برهانًا جديدًا على تعلّق الموارنة ببطريركهم الجليل

٣

وفي الحادي والعشرين من تموز استأنفنا السفر قاصدين قرية دوما وكانت طريقنا كاليوم السابق في ارض كلسيّة وتربة بيضاء خالية من المياه تنبت فيها بعض اشجار سقيمة من التوت يدلّ ظاهر حالها على حنينها الى ريّ الامطار لتبلّ ظمأها المحرق. امّا التبغ هناك فعلى خلاف ذلك لانهُ يزكو زرعًا ويكون من افخر جنس واحسنهِ. ولا يخفى ان بلاد البترون هي التي تخرج التبغ المسمى بالكوراني وانما سُمّي هكذا لانّ مصدرهُ قضاء الكورة بل لانّ اوّل من تعاطى بيعهُ في الديار المصريّة كان من قضاء الكورة فنُسب اليهِ وظلّت هذه التسمية جاريةً على علّاتها مع انّها تجحف بحقّ البترون. وكانت زراعة التبغ من مدّة سنوات في غاية النماء والاهلون يقبلون عليها كل الاقبال لما كانت

تدرّ عليهم من الارباح الّا انّ ادارة الرجي قضت عليها قضاء مبرماً حتى كسدت سوقها

وبعد مسيرة ساعة انتهينا الى داعل وهي قرية آهلة بالمتاولة الشيعيين وليس للشيعيين غيرها من القرى في كل ناحية البترون الّا قرية بشتودار . فوقفنا في داعل هنيهةً من الزمان لكي نزور كنيسةً قديمةً تُلقّب بكنيسة مار تادروس وكان قد قيل لنا ان فيها كتابات عربيّة . فلمّا زرناها وجدنا كتابات منقوشةً على بعض حجارتها السفلى ولكنّها ظهرت لي اقلّ اهميّة من الكتابة التي تقدّم الكلام عليها في قرية حلتا. والكنيسة المذكورة خربة اليوم ولكنّها في الحقيقة عريقة في قدميّتها كما تبرهن ذلك حجارتها المشغولة شغلاً متقناً تامّ التناسب وقد بقي منها الآن حنيّتها وهي متّجهة الى الشرق . وقد قامت في وسط الخراب شجرة سنديان كبيرة لا يمسّها احد بقطع او افساد والمتاولة يجلّون هذا الموضع

ثمّ مررنا بعد نصف ساعة على قرية بشتودار ولعلّها تصحيف بيت عشتار او عشتاروت ممّا يدلّ على انهُ كان هناك في القديم هيكل للالهة عشتاروت اي الزُهرة ولا يبعد ان تكون باقيةً الى الان آثار هذا الهيكل لكنّنا لم نُعنَ في البحث والتفتيش لاجل اكتشافهِ . وبعد ذلك وصلنا الى دير مار يعقوب للرهبان الموارنة وهو في اسفل قلعة الحصن الشرقة اخربتها على كل الناحية

ومن مار يعقوب يُشاهد وادٍ جميل تكتنفهُ الجبال من كل الجهات ما خلا ناحية الشمال الشرقي حيث يجري نهر الجوز . وقرية دوما قائمة ما بين مروج من الخضرة وفيها كثير من البيوت الكبيرة المسقفة بالقرميد ممّا يدل على انّ اهلها في سعة من العيش . غير انّ الطريق اليها من مار يعقوب في غاية الوعورة تشبه السلم في مرتقاها . وعلمت لدى وصولي اليها ان الاهالي قد طالما التمسوا من الحكومة اللبنانيّة مدّ طريق للعربات تصل قريتهم بالساحل والجبال . وفي دوما ثلاث طوائف روم اوثوذكس وروم كاثوليك وقليل من الموارنة والاوّلون هم معظم الاهالي غير انّ الروم الكاثوليك اوفر نشاطاً واحدّ اذهاناً ولذلك كانت لهم في القرية الكلمة النافذة والقول الراجح . وأوجههم جناب الخواجا الياس الحاج الذي انزلنا في دارهِ ولهُ غيرة شديدة على صوالح ابناء طائفتهِ وعلى صوالح الموارنة

وقد صارت اليوم دوما اشبه بمدينة منها بقرية لانها مركز تجاري لكل القرى المجاورة لها. واهميتها هذه قديمة تدلّ على ذلك كتابة يونانيّة على ناووس متّخذ اليوم جرنًا للعين السفلى في القرية فهي تذكر انهُ كان بدوما في القرن الرابع هيكل لاسكولاب اله الطب ولالهة الصحّة ممّا ينطبق كل الانطباق على حسن مركز المحل وجودة هوائهِ وطيب مناخهِ. وقد اتخذت على ورق مخصوص رسم كتابة أُخرى يونانية وبما انها منزلة في حائط الكنيسة الارثوذكسيّة بالقرب من السقف فقد اقتضى لذلك مشقّة عظيمة لاننا رقينا سلّمًا رديئة كانت تتزعزع تحتنا مثل القصبة ولم نبلغ بها الكتابة الّا بعناء وما ادراك ما يقتضي اتخاذ رسم الكتابة على الورق المخصوص من الحركة والتعب. وكان جناب صديقي وتلميذي القديم الخواجا انطون الحاج يعاونني على مقصدي بغيرة ومروّة عظيمتين واذا كنت قد اتصلت الى جمع بعض كتابات في دوما وما جاورها فذلك باسمائه لانهُ ما عدا كرم الضيافة التي حفّني بها مدّة ستة ايام قد يسّر لي بوجاهتهِ ونفوذهِ التوصّل الى كل ما توصلت اليهِ. ولذلك اسئلهُ على صفحات المجلة ان يتكرّم بقبول عاطفة شكري على ما بذل لي من الخدم التي هزّتهُ عليها مروّتهُ واريحيّتهُ

٤

ومن الآثار العجيبة التي قصدناها لنزورها بجوار دوما قلعة الحصن الشهيرة بيدَ انّنا نُرجئ وصفها لندرجهُ في مقالتنا « تسريح الابصار ». وسنذكر هناك كتابة يونانيّة وجدناها على رأس عمود قديم في قرية يشعلي على مقربة من قلعة الحصن. ولهذه الضيعة كنيسة محكمة البناء واسعة الارجاء تعلوها قبّة لجرسها جميلة المنظر بديعة النقوش تولّى نقشها عملة هذه الجهات. وبينهم صنّاع غايةٌ في الذكاء والحذاقة اذا رأوا شغلًا دقيقًا حذوا حذوهُ. من ذلك اني رأيت بندقيّة من طرز مرتيني ابدع صُنعها رجلٌ من دوما فلا يشكّ من يشاهدها انّها خرجت من اشهر معامل اوربّة

وفي مساء ذلك النهار احتفل القوم في بيت الياس الحاج وطالت السامرة. فسمعتُ تلك الليلة غرائب عن الكنوز الخفيّة المرصودة. وانّما دار الحديث على ذلك لانّ بعضًا من البسطاء اذ رأوا فيَّ كلفًا بالكتابات القديمة ظنّوا انّي اتطلّبها لما فيها من الدلالة على المطالب والدفائن. ومما يؤسف لهُ انّ قومًا من الجهلة اذا رأوا كتابة قديمة على صخر بادروا الى اتلافها ظنًّا منهم ان وراءها القناطير المقنطرة

وقد تجوّلت في اثناء اقامتي بدوما في جبل تَرْنَج وهو عبارة عن سلسلة جبال عالية صعبة المُرتقى. وكانت الغابات قديمًا تظلّل اطرافهُ الّا انّ اكثرها قُطعت تسهيلًا لتعدين الحديد

وحديد هذا الجبل مشهور كان اهل هذه البلاد يستخرجونهُ سابقًا ثمّ يصطنعون منهُ ادوات شتّى ولاسيما انعالًا للخيل يفضّلونها على الانعال الاجنبيّة لسهولة تطرّقها. وقد بطل في زماننا تعدين الحديد في هذا الجبل لما يُقتضى لذلك من النفقات البالغة. امّا الكتابات القديمة فقد وجدنا منها عددًا وافرًا كلها للقيصر ادريانس

٥

وفي غضون نزولنا في دوما قدم علينا بعض اهل تنُّورين التحتا. فاخبرونا سرًا انّهم يعرفون صخرًا نُقش عليهِ اربع حيّات يزعمون انها رصد لكنز مدفون غالي الثمن فطلبوا اليّ ان اصحبهم ليروني هذا الاثر الجليل. ومع إنّي عالم العلم اليقين ببطلان وهمهم اردت ان اتبعهم لعلّي اجد بعض الكتابات القديمة المنبئة باحوال السلف واخبار لبنان

وموقع تنُّورين التحتا. في وادٍ وارف الظلّ عذب المياه يجري فيهِ جدول صغير ينصبُّ في نهر الجوز. ويحدق بالوادي جبال مرتفعة تنتصب كانّها الجدار. فقسلّقنا هذه الصخور ولمّا بلغنا نحو مائة متر علوًّا وجدنا صخرًا عليهِ كتابات لا يمكن قراءتها الّا بان يُركّز سلّم فيُرقى اليها الّا ان رفقتي اصعدوني على اكتافهم فتمكّنت من نسخ هذه الخطوط وهي باللغة اللاتينيّة وكلها للقيصر ادريانس السابق الذكر. امّا الحيّات المنقوشة فكان يزعم من تولّى دلالتي انّها فوق هذا الصخر بنحو مائتي متر. فاخذنا نتوقل في هذه الاماكن الخطرة التي هي بالماعز اولى منها بالانسان فكنّا نستند تارةً الى صخر ونتشبّث اخرى بعشبة او غصن شجرة حتى بلغنا بعد شقّ النفس الصخرَ الموهوم. فما اعظم ما كانت خيبة آمالي اذ رأيتُ بدلًا من النقوش صدوعًا في الصخر على هيئات شتّى ليس بينها وبين صور الحيّات شبه وانما كانت محض تخيّلات ابتدعها هؤلاء الاغبياء لما سمعوا او قرأوا عن ركائز الارض وكنوزها الدفينة. ولمّا حاولت ان أقنع رفقتي عن فساد رأيهم لم يرضوا بمقالي وظنّوا اني اريد المكر بهم لانفرد بالكنز وحدي دونهم. فيا لله ما أقبح الجهل وأوخم عاقبتهُ

ورجعنا من ثمّ الى تنُّورين الفوقا. على طريق تمرّ في وادٍ غير الوادي الموصوف

سابقًا وهو من ابدع ما وجدتُ في لبنان من المناظر الجميلة تتبجّس فيهِ المياه من كلّ جهة وتتحدّر على شبه الشلّالات وعلى جانبي النهر اغراس الاشجار المختلفة يمتاز بينها الجوز الذي لاجلهِ أُطلق على النهر اسم نهر الجوز . وكنتُ في خلال المسير افكر في خصب تربة هذه النواحي وكثرة ارفاقها واتأسّف على من يبرحها ليهاجر الى اميركة ويطلب رزقًا بعيدًا وقد اناله الله في وطنهِ عيشًا هنيئًا

ووصلنا الى تنُّورين الفوقا عند المساء الّا انَّ الضباب كان انتشر في الضيعة وهو يشملها من كل صوب فبتنا تلك الليلة واجّلنا زيارة الآثار القديمة الى غد

٦

ولمّا تبلّج نور الصباح قمنا من الفراش وابداننا تقشعرّ من البرد فتذكرنا اننا في اعالي بلاد الجرد وكان النهار صحوًا ولم تلبث الشمس ان ترسل اشعّتها المنيرة في ذلك الوادي المستدير على شكل تنُّور وفي وسطهِ القرية التي استعارت اسمها من هيئة الوادي فدُعيت تنُّورين . وفي هذه القرية ترى المياه جارية في كل جهات الجبل منحدرة الى مسيل النهر

وتنُّورين ضيعة معتبرة واهلها يسعون اليوم في بناء كنيسة حسنة رحبة الّا انَّ الشغل بطيء لا نظنُّهُ ينتهي الّا بعد سنين طويلة . وحول تنُّورين كتابات كثيرة لم يسمح لي الوقت ان انقلها غير انَّ احداها كانت أعظم شأنًا واوسع مادّةً قيل لي انَّها في سهلة غيمون . فاخذت دليلًا وسرت الى المحل المقصود فصعدنا قمة من الجبال بمنيفة صعبة المرتقى وفي اعلاها سهلة غيمون وكان الادلاء الذين رافقوني في بطن وادي نهر الجوز ينتظرونني وكانوا وعدوني بان يدلوني على هذه الكتابة . فلمّا طلبتُ منهم انجاز وعدهم أبوا ان يروني اياها وزعموا انهم نسوا موضعها . ففهمتُ انهم طامعون في الكنز المطمور هناك على زعمهم لئلّا تفوتهم هذه الغنيمة ويتمتّع بها انا وحدي . فرجعت بخفّي حنين راثيًا لجهل هؤلاء الاغرار

وفي صباح النهار التالي انثنيتُ قافلًا الى بيروت بعد ان مررت اياًبا بدوما ومدرسة مار يوحنّا مارون والبترون

هذا واني اشكر لكلّ الذين لقيتهم في طريقي لطفهم فقد رأيت من رقّة طباعهم ورحب صدورهم ما قيّد لساني بحسن معروفهم جازاهم الله خيرًا

تقسيم التجارة

للشاب الاديب عبد الله افندي رزق الله نائب احد مأموري مديّة ولاية بيروت الجليلة

تُقسم التجارة اساساً الى قسمين: التجارة الداخليّة والتجارة الخارجيّة. ويُعرَف مقدارهما من سجلّات الجارك. غير انهُ لا يمكن تعيين مقدار الاولى بضبط لتعذّر الوقوف على كميّة الموادّ المستهلكة في المحلّ الخاصة فيه ولإلغاء الجارك الداخليّة التي اضرّت بالتجارة وعرقلت حركتها كما بيّنا سابقاً. واما الثانية فيمكن تعيين مقدارها التقريبيّ من دفاتر الجارك والاحصاآت الرسميّة. والتجارة الخارجيّة ايضاً قسمان عموميّة وخصوصيّة. فالتجارة العموميّة هي مجموع الادخالات (importations) والاخراجات (exportations) اي مقدار السلع الواردة من مملكة الى أخرى او الصادرة منها اليها. والتجارة الخصوصيّة عبارة عمّا يُستهلك من تلك الواردات في نفس المملكة وعمّا يخرج من حاصلاتها المحلية الى البلاد الاجنبيّة. ويُدعى فرق هاتين التجارتين مرورية (transit) وهو مقدار السلع التي ترد من بلاد اجنبيّة الى غيرها من البلاد الاجنبيّة فتمرّ في المملكة فقط. مثال ذلك انّ كلّ الوارد الى المملكة العثمانيّة من البلاد الاجنبيّة وكلّ الصادر الى هذه من تلك يدخل في قسم تجارتنا العموميّة. بيد انّ من الواردات والصادرات ما يُستهلك او يستحصل في مملكتنا فيدخل في تجارتنا الخصوصية ومنها ما يُخرج الى ما يجاورنا من الممالك او يمرّ في مملكتنا فيُدعى مروريّة. وكانت الحكومات سابقاً تأخذ رسم المروريّة ولكنّها تركت مؤخّرًا هذه الرسوم المضرّة بالتجارة وبمنفعة البلاد والسكّان. فالبضائع المارّة في بلدة وان لم تكن غاية تجارتها تُجديها فوائد عظيمة منها استخدام اهالي تلك البلدة ووسائط نقلها ومستودعاتها الى غير ذلك من المنافع. والدولة العليّة تأخذ الآن من رسم المروريّة واحداً في المئة. الّا انّها تحقّقت مضارّ هذا الرسم ومالت كلّ الميل الى الغائه فتبطلهُ حينما تجد مصدرًا آخر لوارداتها تسدّ به ثُلمة حاصلات المروريّة في ميزانيّتها

مقدار تجارة بعض الدول

ألمعنا في ما سبق الى رواج التجارة البرّيّة والبحريّة وما يبديهِ الجميع من الإقدام والجهد في توسيع نطاقها. والجدول الآتي يُظهر جليًّا ما وصلت اليهِ تجارة بعض الدول الخارجيّة من الخطارة والاتساع